تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (10)

باسم الله أبـدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث ..

وبهدي من دين الإسلام يمضى الفكر يلتمس التوفيق ..

أيها الأخوة في الإيمان ...

لا شك أن غالبية ساحقة منكم لم تسمع من قبل اسم عن ميشيل سكوت وألبير الكبير وتوما داكوين ورينان ، بينما للأربعة الباحثين فضل يقرب فضل الأنبياء على فكر غير المسلمين بما أمدوا به الثقافة الأوروبية حتى وصلت في يومنا هذا وعلى اختلاف مذاهبها الاجتماعية والاقتصادية الى السيطرة على عقول أبناء هذا الجيل .

ولنبدأ حديث اليوم بميشيل سكوت .. فهو أكثرهم قدماً وإيغالاً في التاريخ ..

وميشيل سكوت اسكتلندي عاش حياته الفنية بين عام 1175 وعام 1236 ميلادية .

درس في أكسفورد، وحصل من جامعة باريس على لقب العالم الرياضي وفي طليطلة بالأندلس العربي. أتقن لغة الضاد، وفي عام 1210 .وضع أول مؤلفاته عن خلاصة الفلسفة عند المفكر الإسلامي ابن سينا ،أعقبه بوضع مختصر لكتاب الحيوان لنفس المفكر العظيم ابن سينا ، وتتابعت دراساته في المؤلفات العربية وأخذه من فيضها الدافق الكثير حتى أصبح أشهر علماء أوروبا وقرّبه الباباوات والأباطرة وخاصة فريدريك الثاني .

ويُعد ميشيل سكوت صاحب الفضل على الفكر الأوروبي وتحريره من الجمود وانطلاقه العقلي الذي أبدع فيما تلى ذلك من قرون ما تعيش عليه البشرية اليوم من عقلانية مجردة هي أساس كل تطور وتقدم وتحضر ، فميشيل سكوت كما سجل في دراساته تلميذ لابن رشد ونظرته العقلية إلى الأمور ..

والبير الكبير .. وقد عاش حياته فيما بين عامي 1206 و 1280 ميلادية فقد أخذ عن ميشيل سكوت اعجابه بابن رشد . وإن كان قد جحد فضله عليه خوفاً من الكنيسة ورئيس أساقفة ألمانيا الذي نصبه عام 1260 أسقفاً على ريجنز برج .

وتاريخ ألبير الكبير الألماني الأصل وهو يطلب العلم في جامعة بادوي ودير كولون وستراسبورج ثم باريس لا يقارن بتاريخه كتلميذ دؤوب على مؤلفات ابن رشد وابن سينا والغزالي والفارابي .

أما توماس داكوين المعروف في أوساط الكنيسة بتوما القديس ، فله رغم معارضته لابن رشد والمفكرين المسلمين فضل كبير على تحرير مفكري أوروبا وتمكينهم من فهم تحرير الإسلام لمفكريه وقيمة هذا التحرر في تطور الفكر البشري والحضارة الإنسانية .

لقد كان أهم ما أخذه توماس الأكويني عن ابن رشد أسلوبه في البحث الفلسفي لما بعد الطبيعة ، فقد رفض سلوك طريق الصوفية وصولاً إلى معرفة الله ولكنه أخذ طريق ابن رشد العقلي التماساً للخالق وإدراكاً لجوهر الخلق.

وأعجب ما في حياة توما الإكويني أنه على الرغم من اعترافه بأخذه بالأسلوب العقلي الذي ابتدعه ابن رشد ، إلا أنه أوغل في معارضة فلسفته الإسلامية سعياً وراء رضاء الكنيسة التي رسمته قديساً سنة 1323 بعد نحو خمسين عامن من وفاته بينما هي الكنيسة اعتبرت 219 رأيا من آرائه الفلسفية التي اعترف صراحة باقتباسها عن أئمة المسلمين الغزالي وابن سينا وابن رشد خروجاً على الدين المسيحي .

أيها الأخوة ..

يبقى من المستشرقين الأربعة الكبار المستشرق الفرنسي أرنست رينان ..

ولد عام 1823 بمقاطعة بريتاني بفرنسا ووهب حياته لابن رشد وأسلوبه العقلي في البحث وما تركه هذا الأسلوب من مدارس أوروبية قامت عليها نهضات الغرب المتتابعة عبر القرون .

لقد وضع رينان كتاباً عن المفكر الإسلامي العملاق ابن رشد سجل فيه كيف أثرت فلسفته على عقول المفكرين الأوروبيين ، في أنهم وصفوا أنفسهم بأبناء المدرسة الرشدية ، وقد انقسم أبناء هذه المدرسة الرشدية الأوروبية فيما بعد إلى مجموعتين .. إحداهما اطلقت على نفسها المدرسة الرشدية اللاتينية والأخرى حملت اسم المدرسة الرشدية العبرية ، بينما بقي ابن رشد أستاذ الجميع الفكري. ولعله جدير بالذكر هنا لشباب جيل المسلمين في القرن العشرين أن نردد على أسماعهم حقيقة علمية سجلها مؤرخو الحركة الفكرية الأوروبية في القرون الوسيطة، تلك التي تقول أن نفوذ المفكر الإسلامي وصلت إلى حد أن مجرد ذكر عبارة الشارح كان ينصرف آلياً إلى ابن رشد وحده.

ورغم كل هذا العطاء العقلي الذي وهبته تراث المفكر العربي ابن رشد للمستشرق الفرنسي أرنست رينان ، إلا أن الرجل كان خصماً مفترياً على الإسلام، حتى أن المفكر الإسلامي العملاق جمال الدين الأفغاني تصدى له وناقش ادعاءاته التي افتراها على الدين الحنيف في كتابه "الإسلام والمعلم" بحجج علمية وأسانيد ثابتة التاريخ جعلت المستشرق الفرنسي يقر آخر الأمر بضعف الكثير من مصادره التي استقى منها معلوماته عن الإسلام وبهزال تحليله وعرضه للكثير من مواقف النصوص المحمدية والفكر الإسلامي كله.

المهم في رينان ..ومن قبله توما الإكويني ..وقبلهما البير الكبير .. وميشيل سكوت .. أنهم بما يمثلونه من عصور سحيقة وقريبة نقلوا وغرسوا وتابعوا عبر قرون أوروبا أسلوب ابن رشد في البحث .. ذلك الأسلوب العقلي المجرد من كل مسلمات سابقة أو غيبيات حتمية أو حتى قدسيات سماوية ..

فهذا الأسلوب ابتدعه ابن رشد .. مفكرنا العربي الإسلامي الكبير ، وإليه وحده يعود الفضل تاريخياً بابتداع النظرة العقلانية الى الأمور ، وقد كان التزام ألبير الأكبر ومن بعده تلميذه توماس الأكويني بالطريقة الرشدية العقلية في البحث أساس ما حصلا عليه من احترام وقداسة بكل ما سجلته آراؤهما من عمق وما يحفظه لهما اليوم التاريخ الحضاري من شهرة فكرية أصلية ، فلهما بعقلانية ابن رشد فضل يقرب من فضل الانبياء والقديسين على فكر غير المسلمين وما وصل إليه الفكر العالمي في يومنا هذا بمختلف مذاهبه الاجتماعية والاقتصادية من سيطرة جارفة على عقول أبناء القرن العشرين .

أيها الأخوة في العروبة ..

تبقى في حديثنا عن الأربعة المستشرقين الكبار ، ميشيل سكوت ، والبير الأكبر ، وتوماس الإكويني ، وارنست رينان ، تبقى كلمة لمفكر فرنسي وردت في الصحفة 83 من كتابه موت فيليه ..

يقول بيير لوتي المشهور باسم "صديق الإسلام" :

" عندنا في أوروبا نجد من يقول أن الإسلام دين يحول بين معتنقيه والنور ، يغرس الجمود والركود والتوكل والاستسلام في أعماق الشعوب المؤمنة به ، ويضع لها من العقبات ما يعرقل ويكبل مسيرتها نحو ما يوصف بالتقدم. وهذا الزعم الأوروبي عن الإسلام يعكس قبل أي شيء آخر جهلاً مطلقاً بدين محمد وتعاليم النبوة وتجاهل متعمد غريب لحقائق التاريخ التي يشهد بها للعرب ، ذلك أن الإسلام أعاد خلق الجماعة العربية متقدماً بها الأجناس البشرية والحضارات السابقة ، وكلنا يعرف أي صعود وارتفاع ذلك الذي حققه للمؤمنين به أيام الخلفاء الراشدين الأولين "..

هذه شهادة مفكر أوروبي فرنسي الجنسية نختم بها حديث اليوم نرجو أن يدرك بها شباب الجيل حقيقة ما صنعه الإسلام بالعرب وكيف فتح لهم أبواب الغلبة والتقدم ، وليدركوا أيضاً عظمة ما قدمه العرب بالإسلام من خدمات حضارية للبشرية جمعاء ، وليوقنوا اليوم أنهم بالعروبة المؤمنة قادرون على إثراء التقدم الإنساني واسترداد مكانة أجدادهم الأولين .."..

والله الموفق .....الله المعين .....